Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيها، وبالتالي تُنْتَبذ أيّة جزئية لاتخدم غرضا بعينه، أو تقدّم نفعاً، بحيث تتكافئ قدرة الكاتب على الحشد، مع قدرته على الإقصاء.

ومن سوء الطالع هنا أن يلحظ الدارس أن الفصل السادس من هذه الرواية مثلاً لم تحكم لحمته مع ماقبله من فصول ،ولم يتولد تولداً طبيعياً، كما الأغصان من جذوع أشجارها، فنحن نُفاجأ بسامر وباسل ينتقلان من الساحل السوري إلى الأغوار في الأردن، ليصبحا فدائيين يتدربان على القتال تمهيداً للعبور خلف النهر... وعلى الرغم من الإرهاصات التي كان الكاتب يقدّمها، والتمهيدات الموجزة القليلة لهذا الموقف القومي النبيل، فإنّ ما تقدّم لم يكن مقنعاً بالقدر الكافي لتسويغ هذه النقلة الهامة جدّاً في الرواية.

ومثل ذلك بدت لنا جزئيات معينة حُشرت في ثنايا الرواية حشراً، دون أن تخدم أيّ معنى من معانيها، أو تسوّغ أي مشهد من مشاهدها. بل كانت عبئا على الرواية يصح نفيه، ولا يُضير حذفه. ومن أمثلة ذلك هروب الفتاة (عريب) ابنة مختار الدجاج مع (حاتم) ابن الصحراء- راعي القرية، ثم عودتها إلى بيت أبيها، بسبب ضجرها من رتابة حياة البادية، ومعاملة (حاتم) البدائية لها.

ومما لايقنع القارئ أن يوقظ (أبو حميد) ابنهُ (حميداً) صاحب الخمسة عشر ربيعاً، الذي كان يغطّ في نومه ليلاً، دون سابق إنذار، ليقول له: ((كيف تنام، ونحال الصهاينة الأوغاد توصمنا بالعار والهزيمة؟)). وعندما يسأل (سامر) (أبا حميد) عن مسؤولية هذا الفتى اليافع عن الهزيمة، يجيبه (أبو حميد): ((كل الأمة العربية من المحيط إلى الخليج مسؤولة))- (الرواية ص٤٣). وشتّان بين هذه الفكرة المجردة التي يطلقها الكاتب على لسان شخصياته، وبين مايستخلصه المرء من إحساس بمسؤولية فردية جزئية عن الهزيمة، بعد أن يقرأ، أو يشاهد، مسرحية (سعد الله ونوس) ((حفلة سمر من أجل ٥حزيران)). فهناك فنّ يحرّض ويثوّر ويضع النقاط على الحروف، وهنا فنّ يعظ ويعلّم ويطلق الأحكام، من خلال عبارة تقحم إقحاماً على لسان إحدى شخصيات الرواية.

وإنه لمّا يثير التساؤل انصراف هذا الأثر الفني عن عقد الصلات وحبْك العلائق مابين الجبهة الخارجية والجبهة الداخلية. ويبدو أن انشغال الكاتب في تصوير البطولات ورسم المواقف الاستشهادية، والتركيز على مسألة ثأر الجنود من جرائم العدو في (قلقيلية) و (عين فيت)- وكلها أمور هامة حقاً- جعله يغفل عن رصد مظاهر التفاني وأشكال ذوبان الذوات، وتجاوز الأنانيات، عند عامة الشعب، في الجبهة الداخلية، فقد افتقدنا إشارات إلى مثل الانضباط المفاجئ الذي